
في
التنوير الإسلامي
٣٦
السُّنَّة والبدْعة
لشيخ الإسلام : محمد الخضر حسين
تقديم وتحقيق
د / محمد عمارة

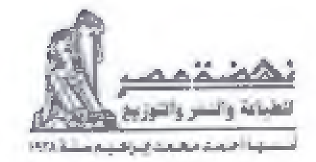
في التنوير الإسلامي ٣٦

السُّنَّة والبدعة

لشيخ الإسلام: محمد الخضر حسين

تقديم وتحقيق

د. محمد عمارة





اسم الكتاب	السنة والبدعة لشيخ الإسلام: محمد الخضر حسين
اسم المؤلف	تقديم وتحقيق د. محمد عمارة
تاريخ النشر	يونيه ١٩٩٩
رقم الإيداع	٥٩١٣ / ١٩٩٩م.
الترقيم الدولي	I . S . B . N 977 - 14 - 0948 - 4
الناشر	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
المركز الرئيسي	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة. مدينة السادس من أكتوبر. ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة.
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ - ص.ب: ٢٠ إمبابة.

تقديم

سبحان الله العظيم !

لقد أنعم الله ، سبحانه وتعالى ، على هذه الأمة عندما جعل وسطيتها إرادة إلهية وجعْلا ربانيا ، وليست مجرد خيار إنسانى لما هو مباح من الأمور ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (١).

وتميزت هذه الوسطية ، فى النسق الفكرى الإسلامى ، بأنها العدل المتوازن ، والتوازن العادل ، التى تبرأ من غلوى الإفراط التفريط ، فهى تجمع من طرفى الغلو عناصر الحق ومكونات العدل ، لتكون هذه الوسطية الإسلامية الجامعة ، موقفا ثالثا ، هو اعتدال بين تطرفين ، وتوازن بين خَلَلَيْن ، وعدل بين ظلمين وحق بين باطلين ، وهو المعنى الذى أصاب لبه حديث رسول الله ، ﷺ ، الذي عرّف فيه هذه الوسطية عندما قال : «الوسط : العدل ، جعلناكم أمة وسطا»(٢) .

فالوسطية ، فى الفكر والسلوك ، هى منظار الرؤية الإسلامية لكل شئون الدين والدنيا . . والغلو ـ بطرفيه ـ هو سبيل المتنكبين سبيل المؤمنين بالإسلام ! . .

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد .

ولقد كان - ولا يزال - هذا الحال هو حال الناظرين والمتعاملين مع سنة رسول الله ، ﷺ . . ضل منهم أولئك الذين غالوا فى تعاملهم مع مأثورات السنة ومروياتها ، إفراطا أو تفريطا . . واهتدى الذين اتخذوا منها الموقف الوسطى ، المتسم بالتوازن والعدل والاعتدال . .

لقد تميزت النظرة الأصولية الوسطية للسنة النبوية بالتمييز ، فى مرويات هذه السنة ومأثوراتها ، بين الأحاديث المتواترة وبين أحاديث الآحاد . . والتمييز فى كتب السنة بين الصحاح التى وضع جامعوها شروطا للصحة رفعت من درجات الاطمئنان للمرويات ، وبين تلك الكتب التى جمع أصحابها كل المرويات ، تاركين التدقيق والفرز للعقل الناقد ، وفق قواعد علم الجرح والتعديل للرواة ولمتون ومضامين المرويات . .

والتمييز فى مضامين المرويات بين «العقائد» - التى لابد من أخذها عن النصوص قطعية الثبوت - وبين «الأمور العملية» التى تحولت إلى «واقع» مارسه الناس - والتى يمكن - لذلك - أخذها عن أحاديث الآحاد ، ظنية الثبوت . .

كذلك ، ميز هذا المنهاج الوسطى - فى التعامل مع السنة النبوية - بين :

- السنة النبوية ، التى جاءت بيانا نبويا للبلاغ القرآنى ، والتى هى ، لذلك ، دين ثابت ، اكتسبت وضع الدين الإلهى من مجيئها بيانا للوضع الإلهى - أى الدين - . .

ـ وسنة العبادة ، التى جاءت تفصيلا لمجمل القرآن الكريم ، وتجسيدا للمناسك والشعائر التى تمثل طاعة العباد للمعبود ، وآيات إسلام المسلمين الوجه لله . . والتى هى « الثلث » دين خالد ، ومطلق دينى : لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، ولا تغيير لها ولا تبديل ، مهما تغاير الزمان أو اختلف المكان ، أو تبدلت العادات والأعراف . .

ـ والسنة التشريعية ، التى مثلت أحكاما جاءت بها الأحاديث النبوية فى المعاملات الدنيوية الثوابت ، المرتبطة بمنظومة القيم الثابتة ، وبالفطرة الإنسانية السوية ، التى لاتختلف باختلاف الزمان والمكان . .

ميز المنهاج الإسلامى الوسطى بين أنواع السنة هذه ـ التى هى دين مطلق وخالد ـ لأنها البيان النبوى للبلاغ القرآنى ـ الذى هو جـــــامع الدين . . وديوان الوضع الإلهى ـ وبين ألوان من السنة النبوية ، مثلتها أحاديث تعلقت بـ :

ـ سنة العادة ، التى فعلها أو تركها رسول الله ﷺ لعادات وأعراف اجتماعية بيئية . . أو جبلّة إنسانية . . أو لحب أو كره فى مقومات حياته كإنسان . .

ـ والسنة غير التشريعية ، التى مارسها رسول الله ﷺ فى نطاق الاجتهاد ـ غير المعصوم ـ فى المتغيرات الدنيوية ، المعللة بحكم ومقاصد تتغير بتغير الوسائل المحققة لهذه الحكم وهذه المقاصد . . والتى تتعلق أساسا بالسياسات والمعاملات فى التفاصيل والفروع ـ أى فى الفقهيات ـ . .

ـ والسنة التى مثلت خصوصيات لرسول الله ، ﷺ ، والتى نص القرآن الكريم ، أو نبه الرسول ، فى الأحاديث ، على أنها من خصوصياته التى لم يلزم بها أمة الإسلام . .

● كذلك ميز المنهاج الإسلامى الوسطى ـ فى التعامل مع السنة النبوية ـ فى فعل رسول الله ، ﷺ ، وتركه ، بين العبادات الثوابت . . وبين المعاملات المتغيرة . . فالأولى الاقتداء فيها والتأسى هو تَعَبُّد وعبادة . . والثانية لا ثبات فيها للوسائل ولا قداسة فيها للآليات ، وإنما الدين فيها هو تحقيق المقاصد التى تتغيا المصالح الشرعية المعتبرة للعباد . .

● وميز هذا المنهاج الوسطى كذلك ، فيما تركه رسول الله ، ﷺ ، بين ما تركه لأنه منهى عنه دينا . . وبين ما تركه لعدم ظهور ما يقتضيه فى عصره . . فباب الفعل لهذا المتروك مفتوح عندما تطرأ ـ مع العصور المتلاحقة ـ مقتضيات الفعل لهذه المتروكات . .

❋ ❋ ❋

تلك معالم ونماذج ـ مجرد معالم ونماذج ـ للمنهاج الوسطى فى التعامل مع السنة النبوية . . وهو المنهاج الذى ساد طوال عصور الاجتهاد الإسلامى ، والتى دونت فيها السنة ، وقامت فيها علومها ، قسمة بارزة فى علوم الحضارة الإسلامية .

وكذلك صنع المنهاج الإسلامى الوسطى فى التعامل مع «البدعة» . .

فالبدعة ، التى هى ضلالة ، والتى هى فى النار ، هى ما خالفت كتابا أو سنة صحيحة أو أثرا تلقته الأمة بالقبول ، أو إجماعا مثل ويمثل سلطة الأمة فى التشريع . .

أما المحدثات من الأمور ، والإبداعات التى يبدعها الناس عبر الزمان والمكان ، خارج نطاق ثوابت الدين وعقائده وعباداته وكليات معاملاته ومنظومة قيمه ، فإن معيار القبول فيها أو الرفض لها هو موقع المقاصد التى تحققها من الحلال والحرام فى الدين ، وعلاقة هذه المقاصد بالمصالح الشرعية المعتبرة للعباد . . ولذلك ، فإن هذه البدع والإبداعات المحدثة تأخذ الأحكام الشرعية الخمسة . . فقد تكون واجبة . . وقد تكون مندوبة . . وقد تكون مكروهة . . وقد تكون محرمة . . وقد تكون مباحة . . وذلك وفق موقعها من تحقيق المقاصد الشرعية والمشروعة ، وليس وفق حدوثها قديما أو عدم حدوثها . . بل لقد استقر هذا المنهاج الوسطى الإسلامى - فى التعامل مع البدعة - على أن الإفتاء الفردى بما يخالف رأى جمهور العلماء ليس من البدعة المذمومة دينيا . . ذلك أن الموازنة هنا ليست بين بدعة وسنة ، وإنما هى بين رأى مرجوح - هو الإفتاء الفردى الجديد - وبين رأى راجح - هو إفتاء جمهور العلماء - فكل اجتهاد فى الإفتاء - فرديا كان أو للجمهور - هو استنباط حكم «ظنى» ، أما البدعة الضلالة فهى الإحداث فى الثابت الدينى ، لأنها تُحلّ «الظنى الإنسانى والنسبى البشرى» محل «المطلق الدينى» ، الذى هو من وضع العليم الخبير . .

* * *

لكن الفكر الإسلامي - في عصر التراجع الحضاري .. وفي عصر التغريب - أي في حقب «التقليد الموروث» و«التقليد الحداثي» - قد ابتلي بالانحراف عن هذا المنهاج الوسطي في التعامل مع السنة النبوية ..

فوجدنا من أهل «التقليد الموروث» من لايميزون بين ألوان المأثورات والمرويات، فيلزمون أنفسهم ويلزمون الأمة بما لايلزم - وهذا هو غلو الإفراط - ووجدنا من أهل «التقليد الحداثي» من يهدرون كل المرويات، بدعوى «التاريخية» أو «التاريخانية»، التي تربط كل النصوص بالزمن الذي ظهرت فيه، والملابسات التي صاحبت نشأتها الأولى، وذلك دون تمييز في هذه النصوص بين أقسامها التي تحدث عنها علماء الأصول، حتى لقد جعلوها «علما» أفردوا له المؤلفات[1] ..

إنهم لم يميزوا بين السنة التي هي دين ثابت، لتعلقها بالبلاغ القرآني والثوابت الدينية - في العقائد والعبادات والقيم وثوابت المعاملات وفلسفات التشريع ومبادئه وقواعده - وبين السنة التي هي فقه الواقع النبوي المتغير، ومثلها سنن العادات والخصوصيات النبوية .. فمثلوا غلو التفريط، كما مثل أهل «التقليد الموروث» غلو الإفراط ..

وإذا كان الله، سبحانه وتعالى، قد أراد لهذه الأمة أن تكون وسطاً .. عدلاً .. متوازناً .. وذلك حتى تحقق الشهود الحضاري على حضارات الغلو - غلو الإفراط والتفريط - ..

(١) من نفائس الكتب الأصولية في هذا الفن كتاب القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (الإحكام في التمييز ما بين الفتاوى والأحكام وتصرفات القاضي والإمام) تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة. طبعة حلب سنة ١٩٦٧م. وكتاب ولي الله الدهلوي (حجة الله البالغة) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ.

وإذا كانت حياتنا الفكرية الحديثة والمعاصرة ، تعانى من الاستقطاب الحاد بين الغلاة ، فى الموقف من السنة النبوية الشريفة ، فإن الحاجة تتزايد إلى تقديم الفكر «الأصولى - الوسطى» ، الذى يقدم للباحثين والقراء معالم المنهاج الوسطى فى التعامل مع سنة رسول الله ﷺ ، وذلك تعميقا لمعالم هذا المنهاج الوسطى ، الذى هو وحده منظار الرؤية الإسلامية الخالصة .. وأيضاً لدعوة الغلاة - من أهل «التقليد الموروث» .. و«التقليد الحداثي» - إلى كلمة سواء ..

ولذلك .. ووفاء بهذا الواجب الفكري ، نقدم إلى الباحثين والقراء هذه الدراسة «الأصولية - المجددة» - عن (السنة والبدعة) - لواحد من أعلام الأصولية الإسلامية المجددة .. الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٨م)(١) ..

سائلين المولى ، سبحانه وتعالى ، أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم .. وأن يجعلها فى ميزان حسنات هذا الإمام العظيم .. إنه أعظم مسئول .. وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

---

(١) انظر ترجمتنا للشيخ محمد الخضر حسين ، فى كتابنا (معركة الإسلام وأصول الحكم) طبعة دار الشروق . القاهرة سنة ١٩٩٨ م . وكتابنا (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) - سلسلة «فى التنوير الإسلامى» - ص٩ - ٢٣ طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٨م .

تمهيد

شرع الله الدين الحنيف في سماحة وحكمة ، فلم يأت بما فيه حرج ، أو بما ينبو العقل السليم عن قبوله ، وكانت هذه السماحة والحكمة من أسباب انتشاره في المعمورة وظهوره على الأديان كلها في أعوام معدودة ، وحيث بُلِيَ بعض الشرائع من قبل فدخلها فساد التبديل والتأويل - اشتدت عناية الشارع بتحذير الناس من أن يحدثوا في الإسلام ما ليس منه . قال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وقال «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(1) .

ولم يخلص الدين مع هذه الزواجر من طوائف يلصقون به ما ينافي سماحته ، أو ما يشوه وجه حكمته . وقد كثرت هذه البدع حتى حجبت جانباً من محاسنه ، وكان لها أثر في تنكر بعض القلوب لهدايته ، وهذا ما حمل كثيراً من أهل العلم على أن يتناولوا البدع بالتأليف خاصة ، كما فعل أبوبكر الطرطوشي(2) وأبو إسحاق الشاطبي(3) وغيرهما من رجال الدين .

(1) صحيح الإمام البخاري .

(2) أبو بكر الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي ، الأندلسي (451 - 520 هـ ، 1059 - 1126م) من فقهاء المالكية بالأندلس ، ومن الحفاظ ، والأدباء ، سكن الإسكندرية ، بعد رحلة إلى المشرق ، وتولى التدريس فيها إلى أن توفي بها .

(3) الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (790 هـ ، 1388م) من أبرز علماء الأصول ، ومن الحفاظ . . ويعد كتابه (الموافقات) رائداً في فن مقاصد الشريعة الإسلامية .

وللبحث فى البدع مجال واسع ، ونحن نلم فى هذا المقال بالقدر الكافى لإجابة رسائل اقترح أصحابها على المجلة[1] بيان ما هو سنة وما هو بدعة ، وفى الفرق بين السنة والبدعة ، وتمييز البِدْعِىّ من السُّنِّىّ إصلاح كبير .

(١) المجلة - التى يشير إليها المؤلف - هى الهداية الإسلامية - التى أصدرها الشيخ الخضر ، بالقاهرة ، فى عشرينيات القرن العشرين - لسان حال للجمعية التى أسسها ، بنفس الاسم - وكتابه (رسائل الإصلاح) بأجزائه الثلاثة - عبارة عن المقالات التى نشرها فى هذه المجلة .

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى
- د . محمد سليم العوا
- أ . فهمى هويدى
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقى
- د . كمال الدين إمام
- د . عبدالوهاب المسيرى
- د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

